

التَّصَوُّفُ فِي مَالِيزِيَا: تَارِيخُهُ وَانْتِشَارُهُ وَمَفَاهِيمُهُ

* هاشم * سليمان إبراهيم *

مُقَدِّمَةٌ

لقد وصلت تعاليم التصوف إلى ماليزيا في الحقيقة مع مجيء الإسلام نفسه. فالإسلام عندما يصل إلى مكان ما، يصله بشكله الشامل وصورته الكاملة دون تجزئة. وقد قام الدعاة المسلمون بنشر العلوم الإسلامية بأنواعها المختلفة من فقهه، وتوحيد وأخلاق، وتصوف. لذلك فلا غرو إذا قلنا إن التصوف وتعاليمه قد دخلتا إلى ماليزيا منذ دخول الإسلام نفسه^١. وفي هذا الشأن يرى الدكتور سيد محمد نجيب العطاس

* أستاذ مساعد ورئيس قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، كلية معارف الروحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

*** محاضر في الجامعة الوطنية الماليزية.

^١ سليمان إبراهيم عمر، الطرق الصوفية في ماليزيا وأثرها في الدعوة الإسلامية والمجتمع الإسلامي (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم البري، ١٩٩٦م/١٤١٧هـ) ص ١٥٦.

أنه قد وقع التعريف بأحد أشكال التصوف في العالم الملايوي في الفترة التي حصل فيها نشر الإسلام. لكن التزامن بين مجيء التصوف والإسلام لا يقتضي التوحيد بين التصوف الإسلامي والإسلام. فالإسلام والتصوف ليسا شيئاً واحداً.^٢

ويرى الأستاذ الحاج وان محمد صغير بن عبد الله، خبير المخطوطات الملايوية كذلك أن التصوف الإسلامي قد وُجد في ماليزيا مع انتشار الإسلام نفسه^٣. لكننا لا نستطيع أن نحدد بشيء من الدقة متى وصل علم التصوف إلى ماليزيا. فلا يزال ذلك أمراً مختلفاً فيه لدى المؤرخين والباحثين لعدم توفر المصادر والمذكرات التاريخية الواضحة في هذا الشأن. لذلك قال الدكتور أنكو إبراهيم بن أنكو إسماعيل^٤: "إن تاريخ مجيء التصوف إلى ماليزيا غير معروف بالضبط، ولكن مجيئه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما حدث في الدول الإسلامية الأخرى من تغيرات وخاصة في دول الشرق الأوسط وسومطرا (الاندونيسية) منذ القرن الثاني عشر (الميلادي) وما بعده، مما أثر في الدول الأخرى سياسياً ودينياً واجتماعياً. وقد حصل التعريف بهذه الطرق الصوفية (لأبناء العالم الملايوي) سواء بطريقة مباشرة من مكة عن طريق الحجاج الملايويين العائدين من هناك، أم بطريقة غير مباشرة عن طريق الدعاة المسلمين العرب، والهنود أو الدعاة الفرس".

ويعني هذا الكلام أن دخول التصوف إلى ماليزيا قد بدأ منذ القرن السادس الهجري الموافق للقرن الثاني عشر الميلادي. وهو التاريخ نفسه الذي بدأ فيه دخول الإسلام إلى ماليزيا عام ٥٧٧ الهجري الموافق عام ١١٨١ الميلادي.

وهناك رأي آخر يرى صاحبه أن دخول التصوف إلى ماليزيا كان في عام ٧٠٢ الهجري الموافق عام ١٣٠٣ الميلادي. فهذا هو تاريخ دخول الإسلام المتيقن

٢ العطاس، سيد محمد نجيب، جانب من جوانب الصوفية: التصور والتطبيق العملي لدى الملايويين، باللغة الإنجليزية، ص ٢١.

٣ وان محمد صغير بن عبد الله، خزانة تراث المؤلفات الملايوية (كوالالمبور: خزانة فطانية، ١٩٩١) ٣/١.

٤ أنكو إبراهيم بن أنكو إسماعيل، تاريخ انتشار الطرق الصوفية والتصوف في ماليزيا وموقف المجتمع منها، بحث علمي قدمه في المؤتمر الصوفي على المستوى الفيدرالي الرابع، سنة ١٩٨٨م، بقاعة المؤتمرات بالمركز الإسلامي بكوالالمبور، ص ٢٦.

مصدران كذلك: أولهما مشترك وهو مكة المكرمة والثاني خاص وهو إندونيسيا^٩. فمكة المكرمة، كانت في القرن السابع عشر والثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، مركز العالم الإسلامي يقصدها طلاب العلم من كل الدول الإسلامية وخاصة من دول العالم الملايوي. ذلك أن العلماء الملايويين لم يكن بوسعهم أن يكتفوا بتلقي الدروس الدينية في العالم الملايوي فحسب، بل لابد من إتمامها وتكملتها في مكة المكرمة.

والمعلوم أن التصوف قد كان إحدى المواد المهمة في دراسة طلاب العلم من الملايويين في تلك الأيام. فهو من المناهج الدراسية عندما كانت مكة المكرمة مركزا للعلم بالنسبة إلى طلابه من العالم الملايوي، بل هو يعد مادة تقليدية أصولية يرثها الجيل عن الجيل بعد أن أصبح ظاهرة تعبر عن الحاجة الروحانية التي لا يستغني عن التحلي بها عالم من العلماء. فكان معظم العلماء الملايويين، مهما برعوا في فنون العلوم الإسلامية، لا يستغنون عن دراسة علم التصوف دراسة معمقة، كما لا يكتفون بممارسة طريقة واحدة من الطرق الصوفية في حياتهم اليومية. فعلى أيدي هؤلاء العلماء تعلم الملايويون علوم الإسلام التي انتشرت وانتشر معها التصوف والطرق الصوفية في العالم الملايوي.^{١٠}

وأما الطرق الصوفية التي انتشرت في ماليزيا فكان منشؤها عن شيخين جليلين هما: الشيخ الجنيد البغدادي، والشيخ أبو يزيد البسطامي^{١١}. وترجع الطرق الصوفية الموجودة في ماليزيا إلى الطرق الآتية:

- ١- الطريقة القادرية التي أسسها الإمام عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ).
- ٢- الطريقة الرفاعية التي أسسها الشيخ أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨ هـ).
- ٣- الطريقة الشاذلية التي أسسها الإمام أبو حسن الشاذلي (ت ٦٨٦ هـ).^{١٢}
- ٤- الطريقة النقشبندية التي أسسها الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري المعروف باسم شاه نقشبند (ت ٧٩١ هـ).
- ٥- الطريقة الشطارية التي أسسها الشيخ عبد الله الشطاري (ت ٨١٨ هـ).

٩ محمد سليمان بن ياسين، مدخل إلى الطرق الصوفية ومسائلها، ص ١٠٤.

١٠ سليمان إبراهيم عمر، الطرق الصوفية في ماليزيا، ص ١٦٤.

١١ محمد سليمان ياسين، مدخل إلى الطرق الصوفية ومسائلها، ص ١٠٣.

١٢ اشتهر أنه توفي سنة ٦٥٦ هـ، انظر: الحفني، عبد المنعم: الموسوعة الصوفية، أعلام التصوف والمنكرين عليهم والطرق الصوفية (القاهرة: دار الرشاد، د. ط، ت) ص ٢٢٩.

(٢) ظهور القضايا الصوفية المتعددة منذ بداية وصول الطرق الصوفية حتى اليوم التي تشغل جميع المسلمين، كقضية وحدة الوجود وبعض التعاليم المنحرفة عن الدين الإسلامي ودعاوى عديدة بشأن الولاية والكرامة، وتعاليم الباطنية المنتشرة عن طريق الدفاع عن النفس الشعبي المخلوط بالأدعية المأثورة، وتعاطي السحر واستخدام الجن وغير ذلك.

وقد حرص العلماء المسلمون المتأخرون على جعل القضايا الصوفية التي ينشغل بها المسلمون المرجع الأول في أمور الدين لما لاحظوه من أمور عديدة أثّرت حول الطرق الصوفية، فأدت إلى جدل ساخن بينهم لم يحسمها قول العلماء الفصل. لذلك فإن هذه القضايا الصوفية المثارة على الساحة لم تجد طريقها إلى حل يرجعها إلى حجمها الحقيقي في الدين الإسلامي. فبدلاً من أن تبقى قضايا صوفية تشغل بال الصوفية والعلماء المختصين أصبحت قضايا إسلامية عقدية عامة تم الجميع.

وقد انتشرت الطرق الصوفية ذات الأسماء والمصادر المتعددة، فشملت كل ربوع البلاد. وهو أمر فتح باباً واسعاً فيما بعد للانحرافات والخرافات والبدع التي لم يأت بها الرسول الكريم ﷺ. وقد كان هذا المآل نتيجة لسلوك هؤلاء المشايخ من الصوفية ولعدم تصدي العلماء لمثل هذه الانحرافات. لذلك فهناك حاجة ملحة إلى حركة تصحيح تحرر الشعب من الخرافات والانحرافات والبدع التي بدأت تفسد عقائد العامة. ولم يوجد من يقوم بمثل هذا العمل الجليل فيتصدى لهذا الخطر إلا أفراد قليلون. وذلك لا يكفي لسد هذه الحاجة الملحة.

وقد أدركت الحكومة والمؤسسات الدينية مدى خطورة الطرق الصوفية المنحرفة والتعاليم الضالة على عقيدة المسلمين خاصة وعلى أمن الدولة عامة. فهي تؤدي إلى تخريب عناصر البناء الداخلي للمجتمع الماليزي المسلم عمداً أو عن غير قصد من أصحابها، حتى ولو كان ذلك مصحوباً بحسن النوايا. فإذا ضعف المسلمون وتفرقوا وتشتتوا، كانت النتيجة الخسران والتخلف. وأسوأ ما يخافه المسلمون، هو الكارثة المتوقعة إذا حدث الصراع بينهم وبين عناصر السكان الآخرين الذين يشكلون ٤٨٪ من مجموع السكان، ويتمتعون بنفوذ قوي وخاصة في الاقتصاد.

ولعل الحكومة الماليزية والجهات الدينية المسؤولة قد تداركت خطورة هذا الأمر منذ البداية، فأسرعت إلى العمل الضروري للتصدي لها، فقامت الجهات الدينية

وانتشار الإسلام في إفريقيا (السنغال، ومالي، وغانا، ونيجيريا) إنما يرجع القسط الأكبر من الفضل فيه إلى الطرق الصوفية. فالرباطات والزوايا التي أسسها شيوخ هذه الطرق الصوفية كانت بؤراً لنشر الدعوة الإسلامية بين شعوب إفريقيا الوثنية. ويرجع ذلك بصفة خاصة إلى اختلاط المتصوفة بالطبقات الشعبية. فعيشهم بين العامة والفقراء، أبدى لهم نماذج التقوي والورع فكان السلوك أفضل طرق الدعوة إلى الهداية.^{١٩}

ومن الطرق الصوفية التي تعمل في حقل الدعوة الإسلامية في إفريقيا الطريقة الأحمدية الميرغنية بقيادة الشيخ محمد عثمان الميرغني، أحد تلاميذ سيدي أحمد بن إدريس، والحركة السنوسية بقيادة محمد بن علي السنوسي وهو أيضاً من تلاميذ سيدي أحمد بن إدريس، والطريقة التيجانية والطريقة القادرية والمهدية بالسودان.^{٢٠} وأما انتشار الإسلام في العالم الملايوي عموماً وماليزيا على وجه الخصوص، فقد اتفق كثير من الباحثين المسلمين على أن التصوف ورجاله وأصحاب الطرق الصوفية من أسباب انتشار الإسلام السريع وإقبال الناس عليه، منهم الأستاذ الدكتور معطي علي^{٢١} والدكتور كسار أديب ماجول^{٢٢}، والأستاذ الحاج وان محمد صغير وان عبد الله وغيرهم من الباحثين.

ومن الأدلة الواقعية على دور هؤلاء الصوفية في نشر الإسلام في العالم الملايوي، ثبوت ذكرهم في كتب التاريخ الملايوي بشيء من الوضوح كدور الشيخ عبد الله العارف الصوفي، والشيخ عبد الملك عبد الله (تو فولو مانيس)، والشيخ عبد القادر عبد الرحيم (تو فولو دويونج)، والشيخ السيد عبد الرحمن بن السيد محمد العيد روس والشيخ أحمد ابن سعيد اللنقي، والشيخ وان موسى بن الشيخ توان تابل وغيرهم كثير. ولقد بذل الدعاة الصوفيون كل ما في وسعهم لتبليغ الدعوة إلى الإسلام لجميع أفراد الشعب.

١٩ عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي (الكويت: وكالة المطبوعات، ط١، ١٩٧٥م) ص ٢٥.

٢٠ سليمان إبراهيم عمر، الطرق الصوفية في ماليزيا، ص ٤٤٩-٤٥٠.

٢١ منصور، أحمد، الطريقة والمجتمع في كتاب الطريقة القادرية النقشبندية (جاكرتا: مطبوعة المؤسسات الإسلامية اللطيفة، ١٩٩٠) ص ٤٠.

٢٢ المحمدي، محمد عثمان: دور الإسلام في تكوين الحضارة الملايوية، بحث علمي تمت مناقشته في المؤتمر الحضاري بالجامعة الوطنية الماليزية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ١.

اهتم الصوفية الأوائل بنشر الإسلام بين شعوب العالم الملايوي وملوكه. فإسلام شعب ولاية قدح بكامله، كان بفضل دعوة الشيخ عبد الله نازل قدح ملك ولاية قدح. وبمجرد أن أسلم الملك ومن حوله من الأسرة المالكة وكبراء الولاية، أسلم كل الشعب. وكذلك كان إسلام شعب ولاية ملاكا التي تحولت بعد ذلك إلى إمبراطورية إسلامية كبرى في العالم الملايوي وأصبحت مركزاً للدراسات الإسلامية.

أما بالنسبة إلى طريقة دعوتهم الشعوب إلى الإسلام، فقد وجدناهم يكوّنون مراكز يستقرون فيها ويقدمون بسلوكهم مثلاً حسناً للتعامل وحسن السيرة. وقد كانوا ذوي قابلية للاندماج في الأهلين فصاهروهم، وأسلمت النساء اللاتي تزوجن المسلمين. وبهذا بدأوا بمعرفة ميول الشعب وهوايتهم، فاندمجوا فيهم اندماجاً تاماً، وتنقفوا بثقافتهم، حتى أصبحوا محبوبين عند الناس مما يسير لهم الطريق ليرشدوهم إلى الإسلام.

٤ - المشاركة في النظام السياسي والإداري

يمكن القول إن كل عالم صوفي ملايوي كبير لم يخل من مشاركة سلاطين البلاد وملوكها ومساعدتهم في أمور الدولة، وتولى بعض الوظائف مثل وظيفة المفتي، أو شيخ الإسلام، أو الوزير، أو المستشار الملكي. ويمكن أن نذكر على سبيل المثال الشيخ أحمد بن سعيد النقي، وابنه الشيخ مرتضى بن الشيخ أحمد من الطريقة الأحمدية في ولاية نجري سمبلين، والشيخ الحاج وان سليمان بن وان صديق من الطريقة النقشبندية في ولاية قدح، والشيخ عبد الملك عبد الله (تو فولو مانيس Tok Pulau Manis) من الطريقة الشطارية في ولاية ترنجانو، وغيرهم كثير.

وكان دورهم في الدفاع عن الإسلام - هذا الدور الجهادي لدى الصوفية الملايويين - دوراً بارزاً يخلده تاريخ الأمة الإسلامية في هذه المنطقة. حيث إن روح الجهاد الإسلامي في العالم الملايوي كانت متأثرة بروح الجهاد عند الصوفية^{٢٦} وذلك لأن تاريخ هذه

^{٢٦} وكذلك نجد أن للصوفية فضلاً كبيراً في الدفاع عن الدعوة الإسلامية في كثير من الدول العربية والإسلامية والجهاد في سبيلها بكل إخلاص ومن الأمثلة على ذلك ثورة السيد عمر المختار ضد الإيطاليين في ليبيا، وهو من أتباع الرباطات المعروفة في ليبيا. وكذلك المهدي في السودان ودورها في مقاومة الإنجليز، وأتباعها في الغالب من الصوفية. وكذلك خروج أبي الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية، وهو ضرير متقدم في السن مع سواه من علماء مصر على رأس الجيش لمقاتلة لويس التاسع الفرنسي، زمن حكم المماليك لمصر، حيث هزموه في معركة المنصورة الشهيرة.

سنوك هارجونج (Snouck Hurgronje)، فقد وصف هذا الكتاب بكونه المصدر الرئيس لكتب أخرى صنفها مؤلفون آخرون من بعده حول موضوع الجهاد الذي شهد سلسلة من الحروب الدينية المتواصلة ضد الاستعمار الغربي.^{٣٠} وهذه نماذج من جهاد الصوفية الملايويين في الدفاع عن الإسلام والدعوة معاً.

(ب) ظهور التعاليم الصوفية المنحرفة

نورد في هذا الفصل التعاليم الدينية المنحرفة مع ذكر وجيز لجانب من جوانب التعاليم، والأفكار البارزة التي غلبت عليها. وقصدنا الأساسي هو بيان مدى تأثير التصوف في المسلمين الملايويين في ماليزيا، وخاصة ما أصاب الجانب العقدي من انحرافات لا تمت إلى الإسلام بصلة. فقد انتشرت التعاليم الدينية المنحرفة لدى بعض الطرق الصوفية التي نشرت العديد من التعاليم الضالة المنسوبة إلى الإسلام باطلاً. والعلوم أن مصطلح التعاليم الضالة (Ajaran Sesat) مصطلح معروف في ماليزيا وقد وُضع للدلالة على ما يخالف التعاليم الإسلامية الحنيفية.

ويمكن فهم معاني هذا المصطلح من خلال النقاط الآتية:

(١) التعاليم التي لا تستند إلى نص من نصوص القرآن والسنة.

(٢) التعاليم المحرفة من نصوص القرآن والسنة.

(٣) التعاليم المستنبطة من نصوص القرآن والسنة خطأ.^{٣١}

وقد عرف قسم الشؤون الإسلامية بإدارة وزارة رئيس الوزراء الماليزية - وهو قسم متخصص في دراسة التعاليم الضالة - مفهوم التعاليم الضالة فُعدَّ من ذلك كل أمر عقدي، أو شرعي يخالف مبادئ العقيدة والشرعية الإسلامية كما حددتهما المذاهب الإسلامية المعتبرة وخاصة مذهب أهل السنة والجماعة (في العقائد) ومذهب الإمام الشافعي (في الفقه الإسلامي) المعمول بهما في هذه الدولة سواء ظهر ذلك في التعليم أو في العمل الذي يأتي به مسلم، أو غير مسلم بدعوى أنه من التعاليم الإسلامية، أو بأنه غير مخالف لها.

^{٣٠} ازيمردى عزرا، مرجع سابق، ص ٢٨٤.

^{٣١} عبد الله فاهم بن الحاج عبد الرحمن، دراسة تحليلية مقارنة بين التعاليم الموجودة في تعاليم التسليم، وتعاليم أحمد لقسامان، وطريقة قادرون يحيى النقشبندية (رسالة ماجستير مخطوطة مقدمة إلى كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالجامعة الوطنية الماليزية) ص ٣٦٩.

بإطلاق فنعتبرها مصدر التعاليم الضالة، أو الشرك أو الكفر. فأهل التصوف الملاييون قد أسهموا إسهامات كبرى في التعرف على هذه التعاليم الضالة والفرق المنحرفة. بما أصدره من مواصفات دقيقة للتمييز بينها وبين التعاليم الصوفية الصحيحة مثلما فعله الشيخ داود بن عمر الليادي الأحدي الكلثاني. وكذلك قد أسهموا في محاربة البدع والتعاليم الضالة، وكان بعض المفتين وأعضاء مجلس الفتوى من أتباع الطرق الصوفية المشهورة المعبرة.

لا جرم في أن تُعدَّ الطرق الصوفية التي تحيي البدع المنكرة التي تحيط بالطرق الصوفية اليوم في كثير من الأقطار الإسلامية والعربية طرقاً صوفية منحرفة وضالة ينبغي تقييدها وتصحيحها إذا أمكن أو محاربتها إذا أبت العودة إلى خط الإسلام المستقيم. وأما تعميم الحكم على جميع الطرق الصوفية بسبب وجود الانحرافات لدى البعض، فهو حكم جائر لا ينبغي أن يصدر عن مسلم.

آثار التصوف في الدين والتقاليد الملايوية

ونود هنا أن نذكر جانباً من جوانب الآثار التي تركها التصوف في ماليزيا، منها :

(١) الأوراد بعد الصلوات الخمس.

(٢) التهليل.

(٣) قراءة مولد البرزنجي.

(١) الأوراد بعد الصلوات الخمس: من سمات المجتمع الإسلامي البارزة في هذه البلاد، قراءة الأوراد، أو الأذكار بعد الصلوات الخمس. فقد أصبحت الأوراد والأذكار عبادة وعادة دينية بارزة عندهم وعند جل البلاد الإسلامية الشرقية، عادة تميز شعبها المسلم عن بعض المسلمين في دول أخرى. وهذه الأوراد مورثة جيلاً بعد جيل عن العلماء القدماء^{٣٤} الذين كان معظمهم من الصوفية أو أهل الطرق الصوفية. فالذكر أحد أركان الصوفية الثلاثة: الأخلاق، والأوراد أو الأذكار، والعنصر الفلسفي.^{٣٥}

^{٣٤} محمد زكي إبراهيم، أصول الوصول (سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية، ط٤، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥) ج ١، ص ٢٦.

^{٣٥} انظر: فكر الأمة الإسلامية، ص ١٧٩.

أما في يوم الجمعة، بعد أداء فريضة صلاة الجمعة، فيقرأون بعض الأوراد وسور القرآن. لكن ذلك لا يعم جميع المساجد، بل يقتصر العمل به على بعض المساجد دون بعض، ولعل السبب يعود إلى طبيعة النظام القائم حالياً حيث تتخذ بعض الولايات يوم الجمعة يوم عطلة أسبوعية، بينما تتخذ بعض الولايات الباقية يوم الأحد، مما أدى إلى استعجال المسلمين بعد الفراغ من أداء صلاة الجمعة إلى أعمالهم وبخاصة الموظفين منهم.

ومن الواضح البين أن هذه العادة هي بلا أدنى شك من أثر الصوفية. فقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله الأذكار بعد صلاة الجمعة، فقال^{٣٩}:

فإذا فرغت وسلمت، فاقرأ الفاتحة قبل أن تتكلم سبع مرات، والإخلاص سبعاً، والمعوذتين سبعاً سبعاً، فذلك يعصمك من الجمعة إلى الجمعة الأخرى، ويكون حرزاً لك من الشيطان، وقل قبل ذلك: "اللهم يا غني يا حميد، يا مبدئ يا معيد، يا رحيم يا ودود، أغني بجلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك".

وزاد رحمه الله تعالى في "الإحياء":

يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحسب^{٤٠}.

وذكر هذا الأمر أيضاً الشيخ أبو طالب المكي^{٤١}.

٣٩ الغزالي، أبو حامد محمد، بداية الهداية، مجموعة رسائل الإمام الغزالي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ص ٥٤. وقام بترجمة هذا الكتاب العالم الصوفي الملاوي الشيخ عبد الصمد الفلباني وسماه هداية السالكين، ثم زاد فيه أشياء زيادة على ما في بداية الهداية، طبعة سمارنج: س.ف. كربا إنسان إندونيسيا، بدون تاريخ، ص ١٣٠. وانظر كتاب "سنجات تو حاج — باللغة الملاوية" ففيه كلام قريب من كلام الغزالي.

٤٠ الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين (دمشق: دار الخیر، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) الباب الخامس، ٢٤٥/١.

٤١ أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، تحقيق سعيد نسيب مكارم (بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٥م) ١٤٩/١. وانظر: سير السالكين للشيخ الفلباني، ٨٢/١.

(٣) ذكرى ميت من أموات المسلمين، مثل ذكرى الأربعين، أو ذكرى حرية بدون تقيد بتاريخ ولا بأي سبب، وفاءً لذكرى الميت.

(٤) بعد مجلس قراءة سورة "يس" جماعة في ليلة الجمعة كل أسبوع، أو قراءة سورة "يس" بمناسبة النذر، أو لقضاء حاجة من الحوائج، أو مجرد التقرب إلى الله والشكر على نعمه.

(٥) بعد مجلس ختم القرآن للبنين والبنات وخاصة قبل إتمام عقد القران. ٤٧

(٦) بعد مجلس قراءة القرآن جماعة.

(٧) في مجلس دعاء السلامة، أو مجلس الشكر بعد قضاء حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة.

(٨) مناسبة إطعام الناس ببعض الأطعمة احتساباً لثواب الله، والتصدق بثواب التهليل

على أموات عائلته وأموات المسلمين جميعاً، وغير ذلك من المناسبات والأغراض.

ولعل تسمية هذا الحفل بـ (مجلس التهليل) كانت لغرض التأسّي بلفظ التهليل "لا إله إلا الله" الذي يغلب فيه على سائر الأذكار والآيات القرآنية، حيث تكرر كلمات التهليل على الأقل مائة مرة، أو أكثر حسبما يراه (شيخ التهليل) أو (خليفة التهليل) مناسباً.

ويمكننا تشبيه هذا الحفل أو مجلس التهليل بحفل المأتم أو مجلس التأبين المقام ببعض الأمصار العربية بمناسبة وفاة أحد المسلمين أو ذكرى ميت من أمواتهم، غير أن المضمون يختلف قليلاً. إن مجلس التهليل الذي يقام بمناسبة وفاة أحد من المسلمين أو ذكرى أحد أمواتهم قد صار عبادة وعادة دينية بارزة لدى المجتمع المسلم في ماليزيا وجزءاً من الحياة الدينية والاجتماعية، يتميز بها مسلمو هذه البلاد عن باقي المسلمين في دول أخرى.

٤٧ يهتم المسلمون الملايويون بأن يحتم أولادهم وبناتهم القرآن الكريم على يد المشايخ أو الأساتذة باتباع نظام (الكتاب لتحفيظ القرآن المعمول به في بعض الدول العربية) ولو مرة واحدة في الحياة كي يقرأوا القرآن بانفرادهم قراءة صحيحة، وبعد ختم القرآن، ويدعى الناس إليه. ويمكن إقامة هذا المجلس بعد الختم مباشرة في الطفولة أو يؤجل حتى قبل عقد القران عندما يتزوجون، أو يقام المجلس مرتين معاً، وذلك للدلالة على أن العريس أو العروس قد أتم تعلم قراءة القرآن الكريم. وفي هذا المجلس يرتل كل الحاضرين بالتناوب القرآن مع اتباع الطالب أو العريس أو العروس قراءته من سورة والضحي إلى آخر القرآن. وبعد ذلك يقرأون أورد التهليل الذي نحن بصدد الحديث عنه.

بالذهب ليتصدق أبواه بقيمته على فقراء المسلمين، وأداء عبادة العقيقة. ويضم الحفل عددا من الحضور يقرأون بعض الروايات من السيرة النبوية المطهرة من قصائد كتاب البرزنجي الذي قيل إنه من تأليف الشيخ السيد أبي جعفر البرزنجي في "مولد سيد الأولين والآخرين" ٤٩، وهو جزء من كتاب "مجموعة الموالد شرف الأنام" ٥٠. ثم يقومون معاً بأداء بعض الصلوات والسلام على النبي محمد ﷺ بصيغة معينة، ويتم خلق شعر المولود أثناء وقوفهم لأداء الصلوات والسلام، وذلك بأن يحمله أبوه أو أحد أقربائه ويطوف به على سبعة رجال من الحاضرين ليتفضلوا بخلق شعره ولو كان قليلاً ليكملوا الخلق بعد الحفل كاملاً.

ويتم أثناء ذلك أيضاً توزيع بعض الحلويات أو الهدايا الخفيفة للحضور. ويقام هذا الحفل في اليوم السابع من تاريخ ميلاد المولود، أو بعد ذلك حسبما يتيسر لأسرة المولود، وذلك مع ذبح العقيقة أو بدون الذبح في بعض الأحيان. وبعد إتمام قراءة الروايات والخلق، تقع قراءة التهليل الذي سبق أن تكلمنا عنه في المبحث السابق، سواء كان تهليلاً طويلاً أو مختصراً حسبما يراه الإمام، وفي أحيان أخرى بدون قراءة التهليل، واكتفاء الإمام بقراءة الدعاء المخصوص لهذا المجلس، وهو الدعاء المذكور في آخر الروايات من كتاب "البرزنجي". وفي النهاية يتناول الحضور بعض الأطعمة والمشروبات.

حكم هذه العادة في ظل الشريعة الإسلامية

بناءً على أوامر الرسول ﷺ المسلمين بالعقيقة وخلق الرأس، لا بد أن نقرر أن عادة البرزنجي التي تجري في ماليزيا لا تخالف الشريعة الإسلامية، وإن كان هناك بعض الإضافات إلى هذه العبادة، وهي القيام بقراءة بعض روايات السيرة النبوية الشريفة، ثم

٤٩ انظر: داود هارون رشيد، جهود علماء إندونيسيا في السنة (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ص ٣٧.

٥٠ وتضمن الكتاب مجموعة من الموالد؛ شرف الأنام، برزنجي نثر، وبرزنجي نظم، قصيدة البردة الشهيرة للإمام البوصري، وأدعية ختم الموالد، وعقيدة العوام، وراتب الحداد، وتلقين الميت ودعاء نصف شعبان، وغير ذلك.

والتستر وراء اسم التصوف الإسلامي وأسماء الطرق الصوفية اللامعة، مثل: القادرية، والنقشبندية، والأحمدية وغيرها.

ويمكن القول كذلك بأن علم التصوف من أهم العلوم الإسلامية التي اهتم بها معظم الملايويين منذ بداية وصول الإسلام وحتى يومنا هذا. فمؤلفات علماء العالم الملايوي كثيراً ما تجمع بين فنيين أو ثلاثة في كتاب واحد، مثل التصوف والفقه أو أصول الدين والتصوف والفقه معاً. وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على أن لدى علماء العالم الملايوي ميلاً شديداً إلى علم التصوف في مؤلفاتهم. وقد ثبت أن بعض العلماء الملايويين قد اعتنقوا أكثر من طريقة صوفية وقاموا بالممارسة العملية لتلك الطرق، فضلاً عن محاولة نشرها والدعوة إليها.